النسفي وجهوده اللغوية في تفسيره

"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"

٢٤
ص

إعداد

يوسف سليمان حليان

"لنيل درجة الماجستير في اللغة والنحو"

جامعة اليرموك

١٩٩٦

لجنة المناقشة

١. الدكتور/ علي الحمد - مشرفاً ورئيساً
٢. الأستاذ الدكتور/ فؤاد الموسى - عضواً
٣. الدكتور/ سلمان القضاة - عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين ، وبعد .." فإن أولى ما عني طالب العلم بمراعاته ، وأحق ما صرف العناية الى معاناته ، ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها ، وحاكما عليها ولها في ما ينشأ من الاختلاف عنها ، وذلك هو القرآن المجيد " (١) وقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم وتكفل بحفظه . لذا لا عجب إن وجدنا كثيراً من الناس ولا سيما الدارسين يهتمون به ، وينهلون من معينه الذي لا ينضب ، كل يأخذ حسب حاجته . فاعتنى القراء بضبط ألفاظه ومخارج حروفه ، واعتنى النحاة ببنائه وتراكيبه ، واعتنى المفسرون بمعانيه وألفاظه ، واعتنى الفقهاء بمحكمه ومتشابهه . ولما كنت واحداً من المهتمين بالدراسات القرآنية بدأت البحث عن موضوع لنيل درجة الماجستير في اللغة والنحو ، فكان أن وفقني الله إلى أحد التفاسير لواحد من أئمة القرن السابع الهجري هو الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، إذ جمع فيه صاحبه علوماً مختلفة من علوم العربية إضافة الى علوم القرآن من تفسير وفقة وقراءات . وتحقيقاً للهدف المذكور فقد جاءت موضوعات البحث متخصصة في الجانب اللغوي وما يمتُّ اليه بصلة معرضة عما سواه.ولكني أرى أن ليس في طاقة الباحث أو غيره عرض كل القضايا اللغوية التي وردت في التفسير المدروس ، لأن ذلك مما يطول جداً . بل يحتاج الى عديد من المجلدات ، ذلك أن القواعد النحوية في القرآن الكريم كانت تطل بوجهه الكريم في معظم مسائل النحو وقواعده . لذا فحسبي من هذا ما سأعرضه من مسائل تبين الجهود اللغوية لصاحب التفسير من جهة ومدى استقلاليته اللغوية أو تأثره بالنحاة والنحاة المفسرين من جهة أخرى . ولتتضح الصورة فقد جعلت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول وخاتمة جاءت على النحو التالي :

١- إملاء ما منّ به الرحمن - من خطبة المؤلف - أبو البقاء العكبري ١/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد :- تناولت فيه باختصار شديد بدايات التفسير ، وعلاقة التفسير بالنحو ، كما اشتمل على رأي المستشرقين في ما كان من أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية .

الفصل الأول : ويشتمل على ما يلي:

أ – التعريف بالنسفي من حيث ولادته ووفاته ، والحالة السياسية والاجتماعية لعصره ، كما اشتمل الفصل على شيوخ النسفي وتلاميذه ، وآثاره العلمية ، ومذهبه الفقهي ، ونزعته الكلامية .

ب – المنزلة العلمية لتفسير النسفي المسمى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل ".

ج – مصادر النسفي اللغوية .

د – منهج النسفي اللغوي .

هـ – النسفي والمذاهب النحوية .

الفصل الثاني : وقد جعلته في قسمين :-

أ – قسم اشتمل على قضايا صوتية وتحليل لهذه القضايا . مثل قضايا : الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها ، والإدغام ، والتفخيم ، والمماثلة ، والمخالفة .....

ب – وقسم آخر اشتمل على قضايا صرفية وتحليل لها . مثل قضايا : الإعلال ، والإبدال ، والوقف ، والحذف .....

الفصل الثالث : اشتمل هذا الفصل على قضايا نحوية وتحليلها . وهذه المسائل جاءت على النحو التالي :-

١- مسألة في ضمير الفصل .

٢- مسألة في " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين " (المائدة ٦).

٣- مسألة في العطف بالرفع على اسم "إنّ " قبل مجيء خبرها .

٤- مسألة في العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض.

٥- مسألة في وقوع الجملة الإسمية حالاً مستغنية بالضمير عن الواو .

٦- مسألة في وقوع الاستثناء المفرّغ بعد الإيجاب .

٧- مسألة في الفصل بين المتضايفين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع : وجاء تحت عنوان " النسفي والقراءات القرآنية " تناولت فيه :-

أ- العلاقة بين النحويين و القراء (بشكل مختصر).

ب - مصادر النسفي في القراءات .

ج - منهج النسفي في عرض القراءات القرآنية .

د- قراءات مختارة وتوجيه النسفي لها .

هـ - رأيٌ للباحث .

الخاتمـــــــة :-

ولما كانت هذه الدراسة اللغوية غير مسبوقة - في ما أعلم - فقد كان على الباحث أن يتحمل وعورة المسلك . إذ بخلت المصادر بما يشبع نهم الدارس للنسفي ، على خلاف ما توافر لكثير من أئمة النحو والتفسير . لذا كان على الباحث أن يتحمل تبعات افتتاحه الطريق ، فاتخذ من التفسير حقلاً وميداناً لدراسته .

ويرجو الباحث أن تكون هذه الدراسة بمثابة لبنة أخرى تضاف إلى صرح العربية الذي جمع بين رسالة السماء ورسالة الأرض.

وبعد .... فلا يسعني سوى أن أقدم شكري جزيلاً للدكتور على الحمد ، الذي قام مشكوراً بالإشراف على هذا البحث ، فكان لي خير مُرشد ، ووسعني بفضله وعلمه ، فكانت توجيهاته وآراؤه السديدة خير مُعين لي لإتمام هذا العمل .

كما أقدم شكري للأستاذ الدكتور محيي الدين رمضان الذي كان له فضلٌ كبير في مساعدتي في اختيار هذا الموضوع .

كما أقدم شكراً خاصاً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى والدكتور سلمان القضاة على تفضلهما لمناقشة هذه الرسالة ، وكليّ ثقة بالاستفادة من آرائهما السديدة .

وأخيراً فهذا جهدي أُقدمه ، فإن وفقت في هذا - وهو أمل - فبفضل من الله ومنّة ، وإن كانت الأخرى ، فهذا جهد المُقلّ الذي يعترف بنقص التمام . فالصناعة طويلة ، والعمر قصير ، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــد :-

يعود التفسير في نشأته الأولى الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألونه في ما أبهم عليهم من ألفاظ القرآن . يسأل أبيٌّ عن قوله سبحانه " ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" (الأنعام ٨٢) فيفسره عليه السلام بالشرك ، مستشهداً بقوله سبحانه " إنّ الشرك لظلمٌ عظيم " (لقمان ١٣) . ويجيء عصر الصحابه - رضوان الله عليهم - فتجدهم ما بين متحرّج في التفسير - يخشى خطره مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومكثر كعليّ وابن عبّاس رضي الله عنهما.(١) وبعد عصر الصحابة تأتي مرحلة عصر التابعين . ويغلب على هذه المرحلة كثرة المفسرين من التابعين ، وعنهم نقل المفسرون معظم الآراء ، وقد انقسموا إلى طبقات ثلاث :-(٢)

١-طبقة أهل مكة : نذكر منهم مجاهد بن جبر ت ١٠٣هـ وعطاء بن رباح ت ١١٤هـ.

٢- طبقة أهل المدينة : نذكر منهم أبا العالية الرياحي ت ٩٣هـ ، وزيد بن أسلم ت١٣٦هـ.

٣- طبقة أهل العراق : نذكر منهم : الحسن البصريّ ت ١١٠هـ ، وقتادة ت ١١٧هـ .

ثم تأتي مرحلة أخرى متقدمة تتأثر بالحياة العامة ، حيث اختلطت الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية بسبب الفتوح الاسلامية ، مما نتج عنه التفسير العقلي الذي أطلق عليه " التفسير بالرأي أو الدراية الذي وضع نواته ابن مجاهد (٣). أمـا عن الدراسات اللغوية فقد كانت مرتبطة بعضها ببعض ، لذا لم يكن سهلاً فصل الدراسات النحوية عن الدراسات الأخرى ، لأن النحو مادة لا يستغنى عنها لمن أراد أن يتصدى لتدريس الفقه والتفسير والقراءات . وليس أدلّ على ارتباط النحو بالفقه من أنّ الشافعي كان يقول : "من تبحر في النحو اهتدى إلى كلّ العلوم " ، وكان يقول :" لأسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلا أجبت عنها من قواعد النحو. (٤).وهذا أبو عمر الجرسي يقول : " أنا أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه "(٥) بل إنا لنجد كتاب أبي البركات الأنباري يشتمل على أشهر المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة (٦) . ومن جهة أخرى فقد كان من النحاة من يقوم بتدريس علوم اللغة والشريعة معاً. فقد كان السمين (٧) يتولى تدريس القراءات بجامع ابن طولون ، كما كان ابن عقيل يقوم بتدريس الفقه في المدرسة الخروبيّة سنة ٧٥٠ هـ.

---

١ - انظر : الإتقان السيوطي النوع الثمانون ٢/ ٢٣٩ ، وانظر: مسائل نافع بن الأزرق مع ابن عباس . الإتقان ١/ ١٥٧. وإن كنّا نشك في صحة نسبتها اليه . وانظر رأي الدكتور طه حسين فيها في كتابه " في الأدب الجاهلي " ص١٠٩

٢- انظر: التبيان في علوم القرآن - د. محمد الصابوني ص٧٣.

٣- انظر: ظهر الإسلام ٤٠/٢ ، وضحى الإسلام ١٣٩/٢ لأحمد أمين . وانظر فيمن ألّفوا تفسيراً بالرواية والدراية : التبيان في علوم القرآن ص١٨٥وص١٩١

(٤و٥): ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقاتها في القرآن . د . أحمد ياقوت ص ١٧٧ .

٦- انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف . ابن الأنباري - خطبة المولف ص ٥ .

٧- هو شهاب الدين أحمد بن يوسف الحلبي نزيل القاهرة ، له من الكتب النحوية : الإعراب ، وشرح التسهيل ، والدر المصون . ت ٧٥٦ هـ . انظر : معجم المؤلفين . عمر كحالة ٢١١/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما عن الحالة اللغوية في القرن السابع الهجري – عصر النسفي –فقد كانت فترة شروح غلب عليها التقليد ، وبعدت عن إيجاد مذاهب جديدة ، أو كما قال أحد الباحثين ((تكرر وتزيد ، وتختصر مطوّلاً ، وتطيل مختصراً ، وتشرح متناً ، حركة دائبة ولكنّها رحوية فلم تأخذ إلى الأمام " . (١) أما في مجال القراءات القرآنية فإنّ من المستشرقين من يزعم أنّ الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال قد فتحت مجالاً لبعض الاختلافات في القرآءة لا سيما إذا كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات (٢) . إلاّ أنّ الدراسة التاريخية تثبت خطأ هذا الرأي . ذلك أن اختلاف المسلمين في القراءة نشأ قبل كتابة المصحف الإمام وتوزيع نسخه على الأمصار (٣).

ومن جانب آخر فإن حديث " أنزل القرآن على سبعة أحرف" (٤) أوقدت حروفه شعلة لم تنطفىء في الدراسة اللغوية فأمدّت الدراسة النحوية بقبس جديدٍ في الميدان النحوي ، إذ كان للقرآن تأثير في القاعدة النحوية . فقد يثبت قاعدة ويرسخها ، وقد ينقضها أحياناً. كما أن هذه القراءات السبع كان لها تأثير في تطوير بعض المصطلحات النحوية أمثال : القلة ، والكثرة ، والشذوذ ، والندرة ، لأنها هي التي تأثرت بالقراءات (٥) .بل كان له أثر أكبر من ذلك ، فلم يكن أمام متأخري النحاة سوى الإذعان للقراءات السبعية ، وبالتالي تجويز ما فيها من قراءات مثل قراءة حمزة ، والأرحام "بالخفض {النساء ١} وقراءة ابن عامر بالبناء للمفعول .{الأنعام ١٣٦}.... الخ

١- المدرسة النحوية في مصر والشام .د. عبد العال مكرم ص ١٤١ نقلاً عن سيبويه إمام النحاة ص٣١.

٢- انظر : " مذاهب التفسير الإسلامي :إجنتس جولدتسهر ص٨ ، وتاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان ١٤٠/١

٣- ودليله حديث حذيفة بن اليمان – القادم من أذربيجان – إلى عثمان . انظر : تاريخ القرآن – أبو عبد الله الزنجاني ص ٧٢ ، وكذلك حادثة عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم في سورة الفرقان . انظر : تفسير الطبري ١٠/١ ، وتأويل مشكل القرآن – ابن قتيبة ص ٣٤ .

٤- رواه مسلم . الحديث رقم ٨١٨ ج٥٦٠/١ . ويرى الدكتور طه حسين أن الأحرف السبعة هي لغات سبع في حرف واحد وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني مثل : هلمّ ، وأقبل ، وتعال ، وإليّ وقصدي ، ونحوي ، وقربي . انظر : في الأدب الجاهلي ص ٩٩.

٥- انظر : أثر القراءات السبع في تطوير التفكير اللغوي . د . عبد الكريم بكار ص٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول:

الإمام النسيفي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعريف بالنسفي :-

هو أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (١) ، ولد وتوفي في ابذج. (٢) وُصف بـ " حافظ الملة والدين ، وأكمل فحول المجتهدين " (٣) ووصفه ابن حجر بـ " علاّمة الدنيا"(٤) وقد اتفقت كتب التراجم على سنة وفاته ٧١٠ هـ ، إلا أن ابن حجر العسقلاني ذكر أنه توفي سنة ٧٠١هـ . (٥) وما نظنّ ذلك إلا تحريفاً ، فقد ذكر صاحب " تاج التراجم " أنه "كان ببغداد سنة ٧١٠هـ " .(٦)

أما سنة ولادته فلم تُشر إليها كتب التراجم ، غير أني عثرت في الموسوعة العربية على أن ولادته كانت سنة ١٢٣٢م (٧)الموافق ٦٣٠هـ ، (٨) وهذا يعني أن ولادته ونشأته الدينية والعلمية كانت في المراحل الأخيرة من حياة الدولة العباسيّة بل في فترة الاحتلال المغولي للعراق وأجزاء كبيرة من دولة الخلافة الاسلامية . فقد توفي جنكيز خان سنة ٦٢٤هـ بعد أن أسس دولة مترامية الأطراف ، امتدت من حدود الصين شرقاً إلى إيران وبلاد العراق وبلاد الروس غرباً ، وإلى بلاد الهند جنوباً .

أما الحالة الإجتماعية السائدة ، فلم تكن حال الشعب أفضل من حال الخليفة ورجال قصره . فقد كان عامة الناس على جانب عظيم من التفسخ الخلقي والفساد الاجتماعي ، لأن العناصر الدخيلة قد دخلت بينهم وأعملت فساداً وتمزيقاً إلى أن انتهى الأمر بالاحتلال المغولي لبغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وقتل الخليفة نفسه ، وبالتالي سقوط الخلافة العباسية في العراق بعد خمسة قرون من قيامها (٩).

١- نسبة الى نسف ، مدينة كبيرة من بلاد السند ، بين جيحون وسمرقند . انظر : معجم البلدان - ياقوت الحموي ٢٨٥/٥ ، ومعجم الأعلام - بسام عبد الوهاب الجابي : ٤٣٤.

٢- كورة وبلدة بين خوزستان وأصبهان . انظر : معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر - الحاضر - عادل نويهض ٣٠٤/١

٣- مدارك التنزيل - المقدمة- النسفي : ص١

٤- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة - ابن حجر العسقلاني ٣٥٢/٢

٥- الدرر الكامنة : ٣٥٢/٢

٦- تاج التراجم في من مصنف من الحنفية - زين الدين بن أبي العدل بن قطلوبغا : ص ١٧٥

٧- انظر : الموسوعة العربية الميسرة - المجلد الثاني :١٨٣٣

٨- التقويم -دراسة للتقويم والتأريخ - أكرم حسن العلبي - ص١٩٤

٩- انظر : تاريخ العرب - د. محمد أسعد أطلس . المجلد الثاني ص٥ وما بعدها . وانظر : محاضرات في التاريخ العباسي والأندلسي - د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص٢٥٢-٢٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شيوخه :-

لم تحظ حياة النسفي العلمية في كتب التراجم بمكانةٍ تليق بإمام مجتهد ، وعالم أصولي كبير مثل النسفي . فقد جاءت أخباره العلمية نادرة في تلك الكتب ، مما ينشيء عقبة أمام الدارس . وما تجده عند ابن أبي الوفاء (١) مثلاً ، تجده عند ابن حجر ..... الخ . وقد انفرد اللكنوي بذكر ثلاثة من شيوخ النسفي فقال (٢): " تفقّه على شمس الأئمة الكردري(٣) ، وعلى " حميد الدين الضرير " (٤) ، و" بدر الدين خواهر زاده " . (٥) وذكر ابن حجر أن النسفي روى " الزيادات " عن العتّابي (٦)، وقد يكون هذا وهماً من ابن حجر ، ذلك أنّ العتّابي توفي سنة ٥٨٦ هـ ، بينما توفي النسفي سنة ٧١٠ هـ ، وهذه فترة زمنية كبيرة ، فقد عاش النسفي ما يقارب ثمانية وسبعين عاماً . لذا فالأرجح أن الذي روي "الزيادات " هو شيخه " شمس الأئمة الكردري " ، وهذا الرأي ينصره ابن قطلوبغا (٧).

١- انظر : الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية - الإمام محيي الدين أبو محمد بن الوفاء : ٢٧٠ - ٢٧١

٢- الفوائد البهية في تراجم الحنفية - الإمام عبد الحي اللكنوي : ص ٨٧

٣- هو محمد بن عبد الستّار الكردري . توفي ببخارى سنة ٦٤٢ هـ . كتب رسالة ردّ فيها على الغزالي تشنيعه على أبي حنيفة . انظر: الفوائد البهية ص١٧٦-١٧٧ و٢٤٢-٢٤٣

٤- هو علي بن محمد بن علي . برع في الفقه والأصول والحديث والتفسير والكلام . من مؤلفاته حاشية على الهداية في الفقه ، وشرح المنظومة النسفيّة ، وشرح الجامع الكبير . انظر: الفوائد البهية ص١٢٥

٥- هو محمد بن محمود بن عبد الكريم الكردري . ابن أخت شمس الأئمة الكردري . ت ٦٥١هـ . انظر : الفوائد البهية ص٢٠٠.

٦- هو أحمد بن محمد العتابي من بخارى له كتاب " الزيادات " و " شرح الجامع الكبير " ، وكتاب " جوامع الفقه " ت ٥٨٦هـ انظر : تاج التراجم : ص٩

٧- قال ابن قطلوبغا ففي ترجمة العتّابي " لازمه شمس الأئمة الكردري وأخذ عنه " . تاج التراجم : ص٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تلاميذه :-

وكما كانت كتب التراجم ضنينةً في تزويد الدارس بشيوخه ، كانت ضنينةً بذكر تلاميذه ، فلم أعثر في كتب التراجم إلا على اثنين من تلاميذه هما :

١- الصغناقي : الحسين بن علي بن حجاج . إمام فقيه لغويّ ، سمع من النسفي ، وشرح المختصر ، والهداية للمرغيناني ، كما شرح الكافي في أصول البزدوي ، توفي في حلب سنة ٧١١ هـ. (١)

٢- محمد بن محمد الجيلي : لم يذكره سوى صاحب مفتاح السعادة ، حيث قال في ترجمة النسفي "ومن شروح المنار جامع الأسرار ، وهو شرح نفيس للغاية ، إلا أنّا لم نعرف مُصنفه. غير أني رأيت في ذيل بعض نسخ هذا الشرح أن اسمه محمد بن محمد الجيلي ، وأنه من تلاميذ عبد العزيز البخاري صاحب " الكشف في شرح أصول فخر الاسلام ، ومن تلامذة حافظ الدين النسفي "(٢)

آثاره العلمية :- ٤٨٠٢٩٤

ذكرت كتب التراجم أهم مصنفاته العلمية ، وكانت كلها في موضوعات الفقه وعلم الأصول ، وقال ابن حجر " ذكره الحافظ عبد القادر في طبقاته فقال : أحد الزهاد المتأخرين ، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول " . (٣) وقد جمعت من كتب التراجم آثاره العلمية ، فكانت ما بين متون وشروح لمتون . وهي :-(٤)

١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل {المسمى تفسير النسفي}وهو أكثرها شهرة .

٢- كنز الدقائق . وهو ما يزال مخطوطاً، (٥) وهو كتاب في الفقه .

٣- المنار في أصول الفقه .

٤- العمدة في أصول الدين .

١- انظر : تاج التراجم :٢٥

٢- مفتاح السعادة - طاش كبرى زاده - ١٦٧/٢-١٦٨.

٣- الدرر الكامنة ٣٥٢/٢.

٤- انظر آثاره في : الجواهر المضيّة :٢٧٠-٢٧١ ، الدرر الكامنة ٣٥٢/٢ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ٤٦٤/٥ ، تاج التراجم :١٧٥ ، مفتاح السعادة ١٦٧/٢-١٦٨ ، والأعلام - قاموس تراجم - خير الدين الزركلي ٦٧/٤ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٨٣٣ ، معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة ٣٢/٦ ، دراسات في أصول التفسير ومناهجه - د. عمر يوسف حمزة : ص١٦٤-١٦٥.

٥- يحمل مخطوطة رقم م خ ٤ر٢١٧ الجامعة الأردنية ، وشرحه عثمان بن علي الزيلعي (ت ٧٤٣) في عدة مجلدات . انظر: تاج التراجم :٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥- كشف الأسرار شرح المنار . وقد ذكره في تفسيره (١) . ٦ - الوافي في الفروع .
٧- المصفّى في شرح منظومة أبي حفص النسفي في الخلاف .٨- الكافي في شرح الوافي .
٩- اللآلىء الفاخرة في علوم الآخرة . ١٠- اعتماد الاعتقاد .
١١- المستصفى في شرح الفقه النافع . ١٢- شرح المنتخب للاخسيكتي(٢)
١٣- شرح الهداية للمرغيناني في الفروع . ١٤- عمدة العقائد في الكلام .
١٥- فضائل الأعمال . ١٦- المستوفى في الفروع .
١٧- المصفى في مختصر المستصفى . ١٨-منار الأنوار في الأصول .

مذهبه الفقهي :-

ذكرت كتب التراجم أنّ النسفي كان فقيهاً حنفياً ، فمن كتبه في الفقه الحنفي " المستصفى " وهو شرح لكتاب " النافع " في فروع الحنفية للسمرقندي ، و"كنز الدقائق " و" الكافي في شرح الوافي" وكلاهما في فروع الفقه الحنفي .(٣)

كما يظهر فقهه الحنفي في تفسيره " مدارك التنزيل " فكثيراً ما يذكر رأي الشافعي - رضي الله عنه - لا ليأخذ به بل ليظهر مقابله رأي مذهبه الحنفي . ففي قوله سبحانه " ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهديُ مَحِلّه "{البقرة ١٩٦} يقول : " الخطاب للمحصرين ... وهو حجة لنا في أنّ دم الاحصار لا يذبح إلاّ في الحرم على الشافعي رحمه الله ، إذ عنده يجوز في غير الحرم .(٤،٥)

١- انظر النسفي ١٠٢/١

٢- الاخسيكتي : محمد بن محمد عمر الاخسيكتي - بالتاء المثناة - صاحب المختصر في أصول الفقه، ت ٦٤٤ هـ . تاج التراجم ص٥٧

٣- انظر نسبته إلى فقهاء الحنفيه : كشف الظنون ج ٥ /٤٦٤ ، الأعلام ج ٦٧/٤ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٨٣٣/٢ ، معجم المؤلفين ٣٢/٦ ، معجم المفسرين - عادل نويهض ٣٠٤/١ ، معجم الأعلام ص ٤٣٤.

٤- النسفي ١١١/١ ، وانظر ٩٤/١ ، ١٢ ، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٤ .

٥- وهذا رأي أبي حنيفة رضي الله عنه . انظر البحر ٨٣/٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نزعته الكلامية :-

أمّا نزعته الكلامية فتجدها واضحة في تفسيره ، فهو مؤيد لمذهب أهل السنّة والجماعة ومحيي السُنّة والفرض .(١) بل إنّ الدراس لتفسيره يكاد يقول إنه موضوع في أصله للردّ على الفرق الكلامية ، لاسيما المعتزلة (٢) . فقد اختار النسفي عنوان تفسيره اختياراً لذلك ، أعني للرد على ما جاء في تفسير الزمخشري المعتزلي " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " فجاء النسفي ليختار عنوان تفسيره " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " . وما لنا نبعد وقد جاء في مقدمة تفسير النسفي ما يدل على ذلك دون أدنى تأويل ، إذ وصفه الناسخ لتفسيره بـ " كشاف حقائق أسرار التنزيل ، مفتاح أسرار حقائق التاويل "(٣) أما الفرق الإسلامية الأخرى التي كان يرد عليها في تفسيره فكانت الجهمية (٤) ، والقدرية(٥)، والمشبهة (٦) ، والرافضة (٧) والكرامية(٨).

ومن جهة ثانية فكما ظهر أثر مذهب أبي حنيفة الفقهي في النسفي ، فقد ظهر فيه أثر علماء سمرقند (٩) في الكلام ، لاسيما مذهب أبي منصور الماتريدي وكتابه شرح التأويلات .(١٠)-(١١)

١- النسفي - المقدمة ١/١ وانظر ١/ ٤٣٨

٢- المعتزلة : إحدى الفرق الاسلامية ، جذورها في العصر الأموي . لكن الأكثرين أنها بدأت بواصل بن عطاء حين اعتزل مجلس الحسن البصري في مسألة الكبيرة . وكانت معرفة العقائد عند المعتزلة عقلية خالصة ، مما أدّى إلى مواجهات فكرية بينهم وبين أهل السنة والجماعة وغيرهم . ومن زعمائهم الجاحظ وإبراهيم بن سيار النظام . ومحمد بن سيرين ، وأبو الهذيل العلاف . انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية - الإمام محمد أبو زهرة ١٣٢/١ ، وتيارات الفكر الإسلامي - د. محمد عمارة ص ٧٧ وما بعدها .

٣- النسفي - المقدمة ١/١ وانظر ردّه على المعتزلة في تفسيره ٢٠/١، ٢٦، ٣٢، ٤٣: ٥٦، ٤٠٧ .

٤- انظر : النسفي ٣٨/١ . والجهمية تنسب إلى جهم بن صفوان . ويقال لهم مرجئة خراسان . وكان جهم يكفّر أهل التشبيه تكفيراً صراحاً ، ويقول بنفي التشبيه ، ويظهر القول بخلق القرآن . ويكفّر من خالفه في ذلك ويسميه مشركاً . كما كان الجهميون يجردون الإنسان من إرادته الحرة ، ويذكرون أنه لا فعل لأحد في الحقيقه إلا لله وحده . وأن افعال الناس تنسب إليهم على المجاز . انظر : كتاب الزينة في الكلمات العربية والإسلامية - القسم الثالث - الشيخ أبو حاتم الرازي ص ٢٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانظر : الغلو والفرق الخالية - د. عبد الله سلّوم السامرائي ص٧١ ، والتاريخ السياسي للمعتزلة د.عبد الرحمن سالم ص٣٧.

٥- انظر النسفي ٤٠٥/١ ٦-انظر : النسفي ٤١٦/١ ٧- انظر : النسفي ٢٦٨/١

٨- انظر النسفي ٢٢/١ . والكرامية فرقة من الفرق المشبهة ، زعيمها محمد بن كرام ، إذ نتجت عن فرقة كبيرة من الفرق الإسلامية هي المرجئة . ومنهم من يجيز الكذب في التبليغ على الرسل . انظر حجة السنة - الحاشية - د . عبد الغني عبد الخالق ص١٠٠

٩- انظر النسفي ١/ ٤٧

١٠- أبو منصور الماتريدي هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، والماتريدي نسبة الى "ماتريد" ، وهي محلة بسمرقند ، فيما وراء النهر. لقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين وفصيح عقائد المسلمين ورئيس أهل السنة ، ت ٣٣٣ هـ . له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وأوهام المعتزلة . انظر : الفوائد البهية ص١٥٧.

١١- انظر النسفي ١/ ٢٠ ، ٢١ ، ٧٢ ، ٨٨ ، ١٦٠ ، ٤٣٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منزلة "مدارك التنزيل العلمية ":

لم ينل تفسير النسفي من العناية في الدرس والتحليل والنقد مثل ما نالته كتب التفسير المعروفة . ولعل أول اشارة إلى هذا التفسير جاءت من حاجي خليفة حيث قال : "مدارك التنزيل وحقائق التأويل " كتاب وسط في التأويلات جامع لوجوه الإعراب والقراءات ، متضمن لدقائق علم البديع والإشارات . (١) لكن هذا الرأي نجده في مقدمة النسفي لتفسيره ، مما يعني أن رأي حاجي خليفة مبنيّ على رأي صاحب التفسير .

أما المعاصرون من العلماء والدارسين ، فقد اتفقوا على أن تفسير النسفي – في أكثره – مختصر من تفسير الكشاف للزمخشري ، وأنوار التنزيل للبيضاوي . يقول الدكتور الذهبي : هذا التفسير اختصره النسفي من تفسير البيضاوي والكشاف للزمخشري ، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات ، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة وهو تفسير وسط بين الطول والقصر ، جمع فيه صاحبه من وجوه الإعراب والقراءات .....(٢)
لذلك فإن الدارس للتفسير المعني ، قد لا تلفته أراءٌ نحويةٌ لصاحبه تنقل عنه ، وأكثر ما فيه من أراء نحوية إن هي إلا نقول من الكشاف وغيره مما سنذكر من مصادر النسفي اللغوية . ومن جهة أخرى فإن كتب التراجم تجمع على أن الإمام النسفي لم يكن رجلاً مبرزا في علم اللغة العربية ، أو له مشاركة فيه تليق بإمامته ، وعلوّ شأنه ، وإنما أجمعت أنه فقيه حنفي أصولي ، كان أكثر همه الدفاع عن –

١– كشف الظنون – حاجي خليفة ٢/١٦٤٠-١٦٤١

٢– التفسير والمفسرون – د. محمد الذهبي ج١/٣٠٥ وانظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير – د. محمد أبو شهبة ص١٣٨، البيان في علوم القرآن –د.محمد الصابوني ص١٩٣ ، دراسات في التفسير والمفسرين .د. عبد القاهر العاني ص١٤٦ ، دراسات في أصول التفسير ومناهجه .د. عمر يوسف حمزة ص١٦٤ ، دلالة السياق – منهج مأمون لتفسير القرآن – عبد الوهاب أبو حفنة الحارثي ص٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معتقدات أهل السنة والجماعة في تفسيره . والدارس لهذا التفسير يشعر بأن النسفي قد استفاد من الزمخشري خبرة واسعة في اللغة والنحو ، وفي مناقشته للآراء المتعددة ، ومن ثم اختيار ما يراه . وفي الوقت نفسه لم يقع في ما وقع فيه الزمخشري – في كشافه – من التعصب للمعتزلة ، بل وجدنا النسفي مدافعاً عن مذهب أهل السنة والجماعة ، مستفيداً من طريقة الزمخشري ، رادا عليه ، ومنتقداً طرقه وحججه .(١)

ومما يمكن أن يوجه إلى تفسير النسفي من نقد، أن مؤلفه –رحمه الله– اكتفى بإشارات موجزة في عرضه للآراء التي كانت موضع جدل واستدلال عند الفرق الكلامية ، وكأني به يفترض شهرتها ، أو علم القارئ بها : ففي قوله سبحانه " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير {الملك١٤} يقول :" أنكر أنه لا يحيط علماً بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته أنه اللطيف أي العالم بدقائق الأشياء الخبير العالم بحقائق الأشياء ، وفيه إثبات خلق الاقوال، فيكون دليلاً على خلق أفعال العباد . وقال أبو بكر الأصم وجعفر بن حرب : "من" مفعول، والفاعل مضمر وهو الله تعالى ، فاحتالا بهذا لنفي خلق الأفعال (٢)

ويمكن القول أيضاً أن أسلوب النسفي في مدارك التنزيل يعلو على مستوى عامة الناس ، فقد وجدناه يفيض بفروع علوم القرآن ، لا يفهم أكثرها إلا المختصون .

١- انظر النسفي ١/٨ ، ٢٠ ، ٢٢، ١١١

٢- النسفي ٢/ ٧٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٦٦- المصطلح النحوي - عوض حمد القوزي - عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض - ط١/ ١٩٨١ .

١٦٧- معاني القرآن - صنفه الأخفش الأوسط - حققه د. فائز فارس - ط٣ / ١٩٨١ .

١٦٨- معاني القران - الفراء - يحيى بن زياد - تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد النجار دار السرورا - بيروت . ونسخة أخرى - عالم الكتب - بيروت .

١٦٩- معاني القرآن الكريم - أبو جعفر النحاس - تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني - جامعة أم القرى - ط١ / ١٩٨٨.

١٧٠- معاني القرآن وإعرابه - أبو إسحاق إبراهيم بن السّري - الزجاج - شرح وتعليق د. عبد الجليل عبده شلبي - عالم الكتب - ط١ / ١٩٨٨ .

١٧١- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - تحقيق د. إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط١ / ١٩٨٣ .

١٧٢- معجم الأدوات النحوية - د. محمد التونجي - دار الفكر - دمشق - ط٦ / ١٩٧٩

١٧٣- معجم الأعلام - معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - بسام عبد الوهاب الجابي - الجفان والجابي للطباعة و النشر ط١ / ١٩٨٧

١٧٤- معجم البلدان - ياقوت - الإمام شهاب الدين أبوْ عبد الله ياقوت الحموي - دار صادر - بيروت .

١٧٥- معجم الشواهد النحوية - د. حنّا حداد - دار العلوم - الرياض - ١٩٨٤ .

١٧٦- معجم علم الأصوات - د. محمد علي الخولي - مطابع الفرزدق التجارية -ط١/ ١٩٨٢

١٧٧- معجم القراءات القرآنية - إعداد د. أحمد مختار عمرو و د. عبد العال سالم مكرم - مطبوعات جامعة الكويت - ط١ / ١٩٨٣ .

١٧٨- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - اعتنى به مكتب تحقيق التراث - مؤسسة الرسالة - ط١ / ١٩٩٣.

١٧٩- معجم المصطلحات النحوية والصرفية - د. محمد نجيب اللبدي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢ / ١٩٨٦ .

١٨٠- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم - د. أحمد الخرّاط - دار القلم - دمشق - ط١ / ١٩٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٨١- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر - عادل نويهض - مؤسسة نويهض الثقافية - ط١ / ١٩٨٣ .

١٨٢- المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية - د. إميل يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ / ١٩٩٢ .

١٨٣- المعجم المفصل في النحو العربي - د. عزيزة نوال بابتي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ / ١٩٩٢ .

١٨٤- المعجم الوافي في النحو العربي - صنفه د. علي الحمد ويوسف الزعبي - منشورات دائرة الثقافة والفنون - عمان / ١٩٨٤ .

١٨٥- المعجم الوسيط - د. إبراهيم أنيس وآخرون - أشرف على الطبع حسن عطيه وآخر الطبعه الثانية .

١٨٦- المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة - د. محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت .

١٨٧- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - ابن هشام الأنصاري - حققه وعلق عليه د. مازن المبارك وآخر - راجعه سعيد الأفغاني - مكتبة سيد الشهداء - إيران - ١٣١٠ هـ

١٨٨- مفتاح السعادة مصباح السيادة - أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده - دار الكتب العلميه - بيروت - ط١ / ١٩٨٢ .

١٨٩- المفتاح في الصرف - صنفه عبد القاهر الجرجاني - حققه وقدم له د. علي الحمد مؤسسة الرسالة - بيروت ، ودار الأمل - ط١ / ١٩٨٧ .

١٩٠- مفردات الفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - تحقيق صفوان عدنان داودي دار القلم - دمشق - ط١ / ١٩٩٢ .

١٩١- المفصل في علم اللغة - الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار إحياء العلوم - بيروت - ط١ / ١٩٩٠ .

١٩٢- المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - عالم الكتب - بيروت .

١٩٣- مقدمة - ابن خلدون - العلامة ابن خلدون - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الرابعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٩٤- مقدمة في أصول التفسير - أحمد بن تيميه - تحقيق محمود نصار مكتبة التراث الإسلامي - مطبعة منير - بغداد .

١٩٥- مناهج التأليف عند العلماء العرب د. مصطفى الشكعة - دار العلم للملايين بيروت - ١٩٧٣ .

١٩٦- من أسرار اللغة - د. ابراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو مصرية - ط٥ / ١٩٧٥ .

١٩٧- المنهج الصوتي للبنية العربية - د. عبد الصبور شاهين - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٠ .

٤٨٠٢٩٤

١٩٨- الموسوعة العربية الميسره - دار نهضة لبنان للطبع والنشر - بيروت .

١٩٩- الموضح في وجوه القراءات وعللها - الإمام نصر بن علي الشيرازي تحقيق ودراسة - د. عمر حمدان - مكة - ط١ / ١٩٩٣ .

٢٠٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي - مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - ط١ / ١٩٣٩ .

٢٠١- النحو الوافي - عباس حسن - دار المعارف - مصر - ط٥ .

٢٠٢- النحو وكتب التفسير - إبراهيم عبد الله رفيدة - منشورات المنشأة الشعبية - ط١ / ١٩٨٠

٢٠٣- النشر في القراءات العشر - الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الشهير بابن الجزري - أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ علي محمد الضبّاع - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٠٤- النصوص الفارسية - د. طه ندا - دار النهضة العربية ١٩٧٣ .

٢٠٥- نظرية النحو القرآني - د. أحمد مكي الأنصاري - دار القبله للثقافة الاسلامية - ط١/ ١٤٠٥ هـ .

٢٠٦- نظم الفرائد وحصر الشرائد - الإمام مهذب الدين مهلب بن حسن المهلبي - تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين - مكتبة الخانجي - القاهرة ، ومكتبة التراث - مكة المكرمة - ط١ / ١٩٨٦ .

٢٠٧- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - تحقيق وشرح عبد السلام هارون وعبد العال مكرم - دار البحوث العلمية - الكويت - ١٩٧٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit